المحاضرة الثالثة

التوزيعية والخطاب- استراتيجية التواصل

المحتويات:

1-المدرسة التوزيعية

2-استراتيجية التواصل من منظور التوزيعية

المحاضرة الثالثة: التوزيعية والخطاب- استراتيجية التواصل

لعل من أهم مظاهر الاختلاف بين اللسانيات الأوربية، واللسانيات الأمريكية ظروفُ المنشأ ومنطلقات التأسيس فإذا كانت اللسانيات الأوروبية قد نشأت في ظل الاهتمام بالمنهج الوصفي التزامني الذي انتبه إليه "دي سوسير " أثناء نقده لمنهج الدراسة التاريخية، فإن اللسانيات الأمريكية قد نشأت في ظل الإستجابة لتوجهات أنثروبولوجية تسعى إلى دراسة اللغات الهندو أمريكية ، بغرض التعرف على البنية النفسية و الفكرية للهنود الحمر.

في سنة 1952 نشر "زيليج هاريس Zellig Harris" بحثا بعنوان " تحليل الخطاب" حيث اهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص و الروابط بين النص و سياقه الاجتماعي،[1] و بهذا البحث حدثت النقلة من الجملة إلى النص، و عد بالتالي "هاريس" أحد الرواد الذين اهتموا بلسانيات النص.

1-المدرسة التوزيعية:

لقد ظهرت هذه المدرسة في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1930، و تميز مذهبها بعلاقته بعلم النفس السلوكي الذي كان مهيمنا آنذاك على الولايات المتحدة الأمريكية؛ فلقد ظهر ثلاثة علماء أمريكيون قاموا بدراسة علم اللغة بطريقة جديدة و هم "فرانز بوواز" و "إدوارد سابير" و "ليونارد بلومفيلد"، و لكن التأثير الكبير لهؤلاء كان عند بلومفيلد.

تميزت هذه المدرسة بما يلي:

- أن دراسة اللسان ينبغي أن تعتمد على اختيار أحداث ملموسة قابلة لأن تحدد في الزمان والمكان، حتى تكتسب الطابع العلمي، ومعنى هذا أن كل بحث لساني يتطلب جمع مجموعة من الأقوال كعينات للسان، و يشترط فيها التماسك و أن تكون نموذجية.
- أما بالنسبة للمعنى فينبغي طرحه جانبا.
- أن عنصري العلاقة "أصوات/منبه" –استجابة"، ليسا متناظرين، فإذا كان هناك إمكانية ملاحظة الأصوات، فذلك متعذر بالنسبة للمعنى؛ إذ ليس من السهل إبراز المنبه، الذي أدى إلى بالمتكلم إلى إرسال أصوات معينة، و لا رد السامع الذي أحدثته الأصوات.

1-أ/ ليونارد بلومفيلد:

تأسست المدرسة التوزيعية بفضل جهوده، وتميز مذهبها بعلاقته بعلم النفس السلوكي، حيث كان يعتبر الأحداث اللسانية ظواهر سلوكية من نوع خاص، فكل تصرف من أجل التبليغ يفترض أن يرسل المتكلم تحت تأثير ظروف معينة (منّبه)، أصواتا معينة تتطلب رد فعل (استجابة) من المخاطب.[2]

تبنى بلومفيلد المنهج الوصفي الشكلي، بوصف التركيب النحوي من خلال تحليله إلى مكونات مباشرة، أي بالتركيز على التركيب الشكلي أو البنية الظاهرية للغة، واستبعاد المعاني من مجال دراسته.

كما تجدر الإشارة إلى أن بلومفيلد أدرك العلاقة القائمة بين المكونات المباشرة في الجملة باعتماده على العلاقات التي تقوم عليها وهي:[3]

- علاقة أفقية: وهي علاقة تنشأ بين الوحدات التي ترد في جملة واحدة، وهي علاقات ضرورية في تركيب الجمل.
- علاقة رأسية: يقع هذا النوع من العلاقات بين الوحدات التي يمكن أن يحلّ كل منها محلّ الآخر.

-التحليل التوزيعي عند بلومفيلد:

* نظرته تقوم على توزيع المكونات الأساسية بطريقة الاستبدال، بمعنى أن تحل كلمة محل أخرى في القسم القواعدي أو المعنوي نفسه، وذلك نحو أن نقول: (أكل عمرو أو أكل زيد) حيث يتبادل (عمرو) و (زيد) الموقع ذاته.

* كما حلل الجملة حتى يصل إلى الطبقة الصغرى، التي لا يمكن تقسيمها، وهي المورفيمات، وذلك نحو تحليله للجملة (خالد القائد حمل الراية) :[4]

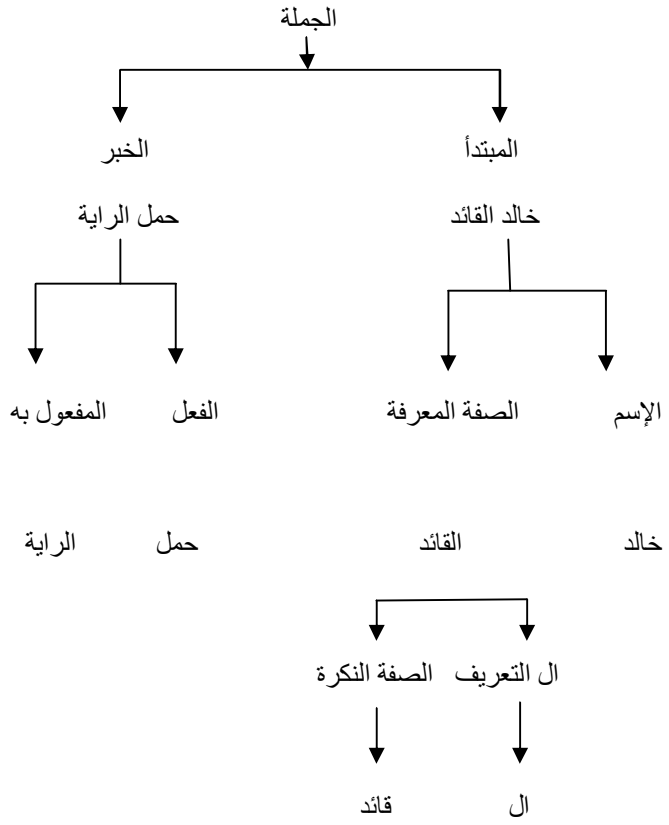

* ميّز بين الصيغ المرتبطة و الصيغ الحرة، و أوضح أن العنصر الذي يحتوي على صيغتين هو "عنصر مركب"، لاحظ مثلا في العربية (أل) هو عنصر مرتبط و (ولد) هو عنصر حر، ومن ثّم ف (الولد) عنصر مركب، ولقد عرفنا أن (أل) تدل على معنى وهو التعريف، و (ولد) يدل على معنى، والعنصر الذي يدل على معنى هو مورفيم، سواء كان عنصرا مرتبطا أو عنصرا حرا. والصيغة المعقدة لا يمكن أن تحلل مباشرة إلى عناصر نهائية أو إلى مورفيمات، ولكن يجب التدرج في تحليلها.[5]

1-ب/ زيليغ هاريس :

سار في الطريق الذي رسمه بلومفيلد في دراسته للسان، و يعد من أقطاب النظرية التوزيعية في اللسانيات، وقد كلّف نفسه مهمة إكمال المذهب البلومفيلدي الوصفي وتصحيحه، وتجاوزه.

-التحليل التوزيعي عند هاريس:

* يتخلص منهجه في أن المعالجة العلمية للغة تكون عن طريق النصوص حيث تنبني أولا و أخيرا على السياقات الخطية؛ أي على معطيات صوتية فقط و التي تتحدد من خلالها أقسام الخطاب بموقعها وليس بوظيفتها التركيبية العامة. و المبدأ الأساسي المعتمد في هذا، هو أن لكل وحدة لغوية توزيعا اقترانيا

خاصا بها؛ فمثلا الوحدات: (كتاب) (قلم) (سيارة) التي يمكنها أن تقترن بياء المتكلم مثلا في الأقوال: (كتابي جميل)، (قلمي أحمر)، (سيارتي جديدة)...تنتمي إلى الصنف الوزيعي نفسه.

كما أن تحليل التوزيعات في أقوال أخرى يبرز أيضا فئات فرعية كما هو الحال في قولنا: (انتظرت الحافلة طويلا)، فالوحدة (طويلا) يمكن استبدالها بـ (كثيرا) و (قليلا) و (برهة)، بحيث تكون لنا الأقوال التالية:

انتظرت الحافلة كثيرا

انتظرت الحافلة قليلا

انتظرت الحافلة برهة

ولكن لا يمكن استبدالها أبدا بـ (جدا)، فلا نقول: (انتظرت الحافلة جدا).

* على هذا الأساس الاستبدالي ذاته يمكن تحليل جميع الجمل عن طريق تجزئتها إلى قطع تنحصر شيئا فشيئا إلى أن تصبح غير قابلة للتجزئة، وهذا ما يسمى بـ"التحليل إلى المقومات الموالية" وهي الوحدات التركيبية للخطاب التي تمدنا بأقسام هذا الأخير أي الوحدات التركيبية الاستبدالية.[6]

* علبة هاريس:

استطاع هاريس إدراج الجمل في أنموذج عام واحد في علبة واحدة، « فبلغ بذلك درجة عالية من التعميم في تحليل الجمل، ومهّد الطريق لبروز المنهج التحويلي التوليدي»[7]. وعليه، لم تعد الجملة مجرد سلسلة خطية بسيطة، بل إنها تبدو في شكل هرمي، قاعدته الجملة (ج) و التي تتفرع إلى مجموعة من الطبقات (تحتوي كلمات) تدعى "المكونات المباشرة"، حتى يتحصل في الأخير على أصغر مورفيم لا يمكن تجزئته مرة أخرى.

الجملة (1)			
تركيب إسمي (2)		تركيب فعلي (3)	
اسم (4)	صفة (5)	فعل (6)	اسم (7)

وقياسا عليه المثال:

جاء	ال	ولد	ال	بارحة
جاء	الولد		البارحة	
جاء الولد البارحة				

1-جـ/ "هوكيت (شارل فرنسيس) Hockelt:

اشتهر هوكيت بصياغته نظام التحليل إلى مؤلفات مباشرة وقد عرف هذا الشكل من التحليل بـ"علبة هوكيت" .

-التحليل التوزيعي عند هوكيت:

يكون في شكل علب متداخلة ففي نحو: (أكل الولد الصغير تفاحاتٍ) يكون التعليب على النحو التالي:

أكل	ال	ولد	ال	صغير	تفاحـ	اتٍ

وكذلك يمكننا أن نجدها في شكل علبة، وذلك بإدراج هذه المقومات الموالية المختلفة للجملة التالية : (الكلب الأمين يحرس البستان) فيما يسمى بـ"علبة هوكيت" حيث يعطي كل عنصر رقما ترتيبيا :

الكلب الأمين يحرس البستان (1)			
الكلب الأمين (2)		يحرس البستان (3)	
الكلب (4)	الأمين (5)	يحرس (6)	البستان (7)

و الطريقة الأكثر شيوعا تتمثل في تمثيل العبارة بالشجرة، كما يلي:

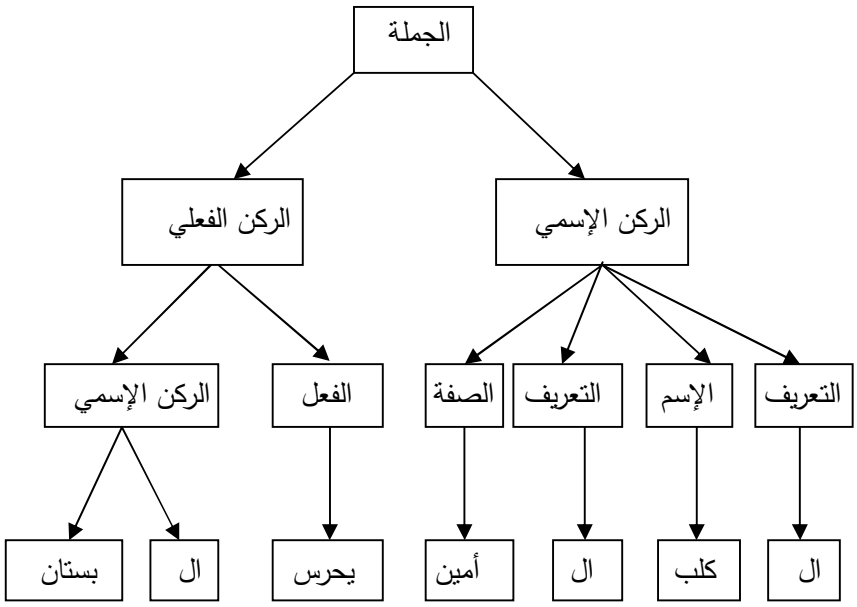

2-استراتيجية التواصل من منظور التوزيعية:

يعرف الألسني "إدوارد سابير Edward Sapir" اللغة على النحو التالي : « إن اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية.

إن اللغة في رأي سابير وسيلة التواصل الإنسانية وتتكون من رموز يعتمدها المتكلم في إيصال الأفكار والتخيلات والمشاعر والأحاسيس والرغبات عبر هذه الرموز، فالمتكلم يلجأ إليها ويختار من رموزها ما يتعادل مع الأفكار والمشاعر والرغبات التي يقصد إيصالها إلى الآخرين وهو أي المتكلم حين يستعمل اللغة يستعملها بصورة اختيارية وقصدية عبر تصميم حر.

يتضمن تعريف **سابير** المسائل اللغوية التالية:

- اللغة وسيلة التعبير.
- اللغة قائمة على رموز.
- اللغة قصدية».[8]

من ناحية ثانية يعرف" بلومفيلد" اللغة على النحو التالي:« إن الكلام الخاص الذي يتلفظ به الإنسان من خلال سيطرة مثير معين يختلف باختلاف المجموعات البشرية فالبشر يتكلمون لغات متعددة ».[9]

إذن، ينظر بلومفيلد إلى اللغة على أنها عادة إنسانية كلامية، وهذه النظرة قد تبناها بتأثير من النظرة السلوكية في علم النفس إذ يعتبر أن عملية التكلم تخضع إلى تأثير المثير وإلى الاستجابة للمثير وأن الطفل يكتسب هذه العادات الكلامية خلال ترعرعه في بيئته، فاللغة سلوك إنساني ولا تختلف من هذا

المنظار عن أنماط السلوك البشري الأخرى فهي بالتالي عادة كلامية قائمة من خلال تكرار عمليات الاستجابة إلى المثير الذي يحركها.

من التعريفين السابقين للغة من قِبل مؤسسَي التوزيعية يتراءى لنا اهتمام النظرية بالجانب التواصلي للغة، وإن حصراه في الجانب السلوكي، إلا أنهما جعلاه مدخلا لتحليل الخطاب.

---

[1] صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق–دراسة تطبيقية على السور المكية، ص 23.

[2] سليم بابا عمر–باني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، دار الأنوار للنشر، الجزائر، 1990، ص3.

[3] نسيمة نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص 154.

[4] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 41.

[5] صلاح الدين حسنين، في لسانيات العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2011، ص 7.

[6] سليم بابا عمر–باني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، ص 39.

[7] المرجع نفسه، ص 41.

[8] ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط1 ، 1992، ص 67.

[9] ينظر: المرجع نفسه، ص 67–68.